بَنُو إِسْرَائِيْلَ بَيْنَ الذِّلَّةِ وَالخُضُوْعِ وَبَيْنَ الاسْتِكْبَارِ وَالتَّمَرُّدِ
تَحْلِيْلٌ قُرْآنِيٌّ لِلشَّخْصِيَّةِ اليَهُوْدِيَّة

◆ **الشيخ محمد محمود الزعبي**[1]

■ خلاصة

يعـرض البحث قـراءة تحليليَّة للنصّ القرآني بهدف اسـتخلاص ملامح ما يسـمِّيه المؤلِّف الشـخصيَّة الإسرائيليَّـة بوصفها نمطًا جمعيًّا تشـكّل عبر التاريخ تحت تأثـير الاضطهاد والصراع والتجربة الدينيَّة، ويركِّز القسـم الأوَّل على السـمات النفسيَّة والسـلوكيَّة المستنبطة من القصص القـرآني، مع التأكيد على أنَّ هذا التوصيف لا ينفي وجـود أفراد صالحين خرجوا عن هذا الإطار. أمَّا القسـم الثاني، فيقارن بين هذه السـمات وما يراه المؤلِّف انعكاسًـا لها في السلوك الإسرائيلي المعاصر، كما يدعو البحث إلى مراجعة الصور الأسطوريَّة الشائعة عن اليهود، والتمييز بين القراءة الدينيَّة والتحليل الأيديولوجي المبالغ فيه. ويخلص البحث إلى أنَّ فهم هذه الرؤية القرآنيَّة بحسب طرحه يوفِّر إطارًا تفسـيريًّا أوسع لدراسة السـلوك الجماعي ضمن سياقه التاريخي والديني، دون إغفال التعقيد الإنسـاني وتعدّد العوامل الاجتماعيَّة والسياسيَّة التي تسهم في تشكيل المجتمعات وتحوّلاتهـا عبر الزمن، وهو ما يجعل التحليل المقـترح أداة لفهم الخطاب الديني وصلته بالواقع المعاصر بطريقة نقديَّة ومتوازنة تراعي النصّ والتاريخ معًا، وتسعى إلى قراءة واعية تتجنَّب التعميم المطلق، وتراعي تعقيد الواقع الإنساني وتعدُّد العوامل المؤثِّرة في تكوين المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: القرآن، إسرائيل، اليهود، الماسونيَّة، الذلة، الاستكبار

١ - كاتب لبناني، يعنى بقضايا الفكر الإسلامي والوحدة والحديث والتاريخ الإسلامي. ماجستير في علوم الحديث.

Children of Israel between Humiliation, Submission, between Arrogance, Rebellion

Qur'anic Analysis of the Jewish Character

◆ **Sheikh Mohammad Mahmoud al-Zoubi**

A Lebanese writer specializing in Islamic thought, unity, hadith, and Islamic history. Master's degree in hadith studies.

■ Abstract

The research presents an analytical reading of the Qur'anic text with the aim of extracting the characteristics of what the author calls the Israeli personality, describing it as a collective pattern that has shaped throughout history under the influence of persecution, conflict, and religious experience. The first section focuses on the psychological and behavioral traits derived from the Qur'anic stories, emphasizing that this characterization does not deny the existence of righteous individuals who have deviated from this framework. The second section compares these traits to what the author perceives as their reflection in contemporary Israeli behavior. The research also calls for a revision of the common mythical images of Jews, distinguishing between religious reading and exaggerated ideological analysis. The research concludes that understanding this Qur'anic perspective, as proposed, provides a broader interpretive framework for studying collective behavior within its historical and religious context, without neglecting the human complexity and the multiplicity of social and political factors that contribute to the formation and transformation of societies over time. This makes the proposed analysis a tool for understanding religious discourse and its connection to contemporary reality in a critical and balanced manner, taking both the text and history into account, and aiming for a conscious reading that avoids absolute generalization while considering the complexity of human reality and the various factors influencing societal formation.

Keywords:

The Quran, Israel, the Jews, Freemasonry, Humiliation, Arrogance.

مقدّمة

عندما نتحدَّث عن طباع بني إسرائيل، فإنَّ هذا لا يعني جبريَّة الطبع بل يمكن لأفراد أن يتحرَّروا من هذه الطباع، وأن يصبحوا من الأطهار الخُلّص، كـ(يوسف)، و(موسى)، و(هارون)، و(داوود)، و(سليمان) عليهم السلام، وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين الصالحين، كما في الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة التي وردت في ذمّ بني أميَّة، فهي تذمّ طبع هذا الجنس وإن تحرَّر منه أفراد من القلَّة الذين عرفوا أحقِّيَّة أهل البيت عليهم السلام. ولكن خروج أفراد عن طبع قومهم لا يعارض دراسة الطبع الغالب للكيان الجمعي للقوم. فعندما يذمّ القرآن الكريم بني إسرائيل، فإنَّ الذمَّ يتوجَّه إلى الطبع الجمعي، ولا يشمل الأفراد الذين تحرَّروا من هذا الطبع.

وطباع بني إسرائيل قد تناولها القرآن بشكل مكثَّف؛ حيث أنتج توصيفًا وتحليلاً واضحًا للشخصيَّة الجمعيَّة الإسرائيليَّة، بدءًا من تاريخهم إلى أخلاقهم وطبائعهم، ووصولاً إلى تمرّدهم على الله وعلى أنبيائهم والقادة المصلحين فيهم.

وتاريخ بني إسرائيل مليء بالاضطهاد والإذلال والظلم والعسف، والأُمّة التي تتعرَّض لمستوى عال من الاضطهاد، لا بدَّ أن يترك ذلك فيها أثرًا كبيراً يدخل في تركيبتها الاجتماعيَّة، ويسهم في تشكيل وعيها ولا وعيها الجمعي. وآثار الظلم والاضطهاد يمكن أن تنعكس في ثلاثة اتجاهات:

١. يمكن أن تتحوَّل الأُمَّة المظلومة إلى أُمَّة خانعة وذليلة.

٢. يمكن أن تتحوَّل إلى أُمَّة حاقدة ومستكبرة ومجرمة، ترى نفسها الشعب المختار، وتستبيح لنفسها كلّ المحرمات.

٣. يمكن تتحوّل إلى أُمَّة ثوريَّة تقدّس كرامة الإنسان، وتحمل رسالة العدالة العالميَّة.

وتاريخ الشخصيَّة الإسرائيليَّة، وانعكاسه على العقل الجمعي والشعور العام في شخصيَّة بني إسرائيل -كما استعرضه القرآن، وكما جسَّدته وقائع الأحداث والتاريخ- يكشف أنَّ انعكاس الظلم والاضطهاد على بني إسرائيل أنتج ثنائيَّة ضدّيَّة تركَّبتْ من الخنوع والاستكبار، وهذا التضادّ الظاهري هو منسجم في حقيقته؛ لأنَّ مصدره واحد، وهو عقدة النقص التي تركّزت في اللاَّ وعي الإسرائيلي. وكلّ المظاهر السلبيَّة في سلوك بني إسرائيل، من خسَّة، وغدر، ودناءة، واستكبار، وتمرّد، وحقد، وإجرام، وغباء...، منشؤه ثنائيَّة الخنوع/الاستكبار.

ولفهم أوضح للشخصيَّة الإسرائيليَّة، نستعرض أبرز خصائص التركيبة العقليَّة والنفسيَّة لبني إسرائيل كما جاءت في القرآن الكريم، وصدقها السلوك الإسرائيلي في مراحله التاريخيَّة كافَّة، منذ عهد موسى عليه السلام إلى يومنا هذا، لنخلص إلى مقارنة سلوك بني إسرائيل في عصرنا الحاضر بما ذكره القرآن الكريم من طبائعهم العقليَّة والنفسيَّة.

أوَّلًا: أهم خصائص الشخصيَّة الإسرائيليَّة كما استعرضها القرآن:

عانى بنو إسرائيل قبيل بعثة موسى عليه السلام اضطهادًا كبيرًا من فرعون وقومه، إلى حدّ انتزاع الولد من أهله وذبحه، وأخذ نسائهم لخدمة قوم (فرعون)، كلّ هذا الظلم لم يقابله بنو إسرائيل إلا بالخضوع والرضا بالذلَّة. ولعلَّ حادثة قتل موسى للقبطي عندما كان يعتدي على إسرائيلي تكشف كم كان يختزن موسى في داخله من غضب ثوري: ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ [القصص: ١٥]، ضربة واحدة بكفِّه قتلت القبطي. ولذلك كان موسى هو الشخصيَّة المؤهَّلة لتحرير هذه الأُمَّة، فاختاره الله ليحمل إليها رسالة خلاصها، فحمل موسى هذه المُهمَّة الصعبة: مواجهة طاغية من أعتى طغاة التاريخ

لتحرير أُمَّة ألفت الخنوع والذلَّة، وغير مستعدَّة أن تبذل أي تضحيَّة بعد أن عبَّدها (فرعون) كما قال له موسى: ﴿**وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الشعراء: ٢٢]. بكلّ ما في الفعل «عبَّدتَ» من معاني الاستعباد والإذلال والإخضاع والتدجين. كيف يمكن لأُمَّة استمرأت القهر وفقدت معنى الكرامة أن تَحملَ وعيًا رساليًّا ثوريًّا؟ لقد مَسخت الفرعونيَّة إنسانيَّتَهم، فحوَّلتهم إلى كائنات لا همّ لها إلا أن تبقى على قيد الحياة تأكل وتشرب دون أن يكون لحياتها معنى ﴿**أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**﴾ [البقرة: ٩٦].

إنَّ فقدان الرسالة، وفقدان معنى الحياة يجعل الأمة بلا طموح، فتفقد الجديَّة في حياتها وتعيش العبث، فتموت فيها المشاعر النبيلة، وحتى قدراتها العقليَّة تصبح محدودة؛ لأنَّها محصورة في تأمين الطعام والشراب. ومن هنا، ندرك كم عانى موسى عليه السلام وهو يحاول رفعهم إلى مستوى الإنسان الرسالي، وهم لا همَّ لهم إلا ﴿**بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾ [البقرة: ٦١].

وحتى ندلِّل على هذا الانحدار العقلي والنفسي في الشخصيَّة الإسرائيليَّة، نقف عند أبرز الخصائص العقليَّة والنفسيَّة لشخصيَّة بني إسرائيل:

١. تصدّع المفاهيم الإيمانيَّة وسرعة الانهيار:

لقد شاهدوا معجزات موسى عليه السلام وحججه القاطعة بأنَّه رسول من عند الله، وشاهدوا كيف أنَّ السحرة الذين قضوا عمرهم في الارتزاق من الدجل عند (فرعون) وملئه خرَّوا سُجَّدًا، وأصبحوا من أعظم شهداء التاريخ المؤمنين لمّا شاهدوا معجزات موسى عليه السلام، ولم يبالوا بتهديد (فرعون)، وقبلوا بكلِّ رضا أن تُقَطَّعَ أوصالُهم ويُصلَّبوا ويُعذَّبوا بأشدِّ أنواع العذاب؛ لأنَّهم أدركوا حقيقة الدنيا، فتحدَّوْا (فرعون) قائلين: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه: ٧٢-٧٣]، كلّ هذا شاهده بنو إسرائيل، ولكنّ نفوسهم الهابطة لم تفهم

العمق الإيماني لثبات السحرة وتقبّلهم للموت في سبيل الله، ولذلك نجدهم ينهارون ما إن وصلوا إلى البحر وجنود (فرعون) وراءهم: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ [الشعراء: ٦١]، بكلِّ تأكيد (بـ«إنّ» ولام التوكيد) كأنَّهم ما آمنوا بالله، وكأنَّهم ما شاهدوا معجزة.

٢. بلادة الحسّ ومحدوديَّة التفكير:

شاهدوا بأعينهم كيف فلق الله البحر لموسى عليه السلام فعبروا، وكيف ابتلع البحر فرعون وجنوده، وحادثة بهذه العظمة لا يمكن أن تُنسى ولا أن يزول أثرها في سلوك أُمَّة طبيعيَّة، ولكن مع أُمَّة تفاعلت سلبيًّا مع الاضطهاد، بحيث أصبحت فاقدة للروح الإنسانيَّة السامية محدودة القدرات العقليَّة، لا نستغرب ألا نجد أثرًا للمعجزة في سلوكهم ومواقفهم. ولذلك عبرّ القرآن بالفعل «تنظرون» في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ [البقرة: ٥٠]؛ لأنَّ الفعل «تنظرون» ليس فيه معنى الاعتبار، خلافًا لفعل «تبصرون»، فـ «أول موقع العين على الصورة نظر، ومعرفة خبرتها الحسيَّة بصر، ونفوذه إلى حقيقتها رؤيَّة»[1]، وللتوضيح أكثر: افرض أنَّك قمتَ بخدعة بصريَّة جعلت الكتاب يرتفع عن الأرض وحده، فإنَّ العاقل يُدهش ويحاول تفسير ذلك، أمَّا الطفل ابن السنتين فإنَّه يكتفي بالنظر إلى ذلك ثمّ يكمل لعبه، وقريب من الطفل كان تعامل بني إسرائيل مع المعجزات (تنظرون)، فعندما أمرهم موسى بدخول الأرض المقدَّسة ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا**﴾ [المائدة: ٢٢]، وهذا يؤكِّد بلادة حسّهم ومحدوديَّة تفكيرهم، وهم الجيل نفسه الذي شاهد البحر ينفلق لهم ويبتلع (فرعون).

---

١ - انظر: برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٤، ص٢٦٦.

٣. أمة مقلدة.. تابعون لا متبوعون:

لا شكَّ أنَّ الأُمَّة التي ترضى بالظلم تعيش عقدة النقص في حياتها، وتصبح قابلة لتقليد الآخرين واتباعهم، وهذا واضح في شعب بني إسرائيل، فقد غاب عنهم موسى أربعين ليلة، فأضلَّهم (السامري) وجعلهم يعبدون صنمًا على هيئة عجل، هذا التحول السريع في العقيدة، والرجوع السريع عنها بعد عودة موسى[1] عليه السلام يدلّ على خفّة وطيش وانعدام المسؤوليَّة، وهذا كلّه بسبب نقصان عقلهم وبلادة حسهم. وكذلك في قصة السامري إشارة إلى الصورة الخاطئة أو الأسطوريَّة عن بني إسرائيل وقدراتهم وتأثيرهم التي يطرحها بعض الكُتَّاب في عصرنا، فحقيقة بني إسرائيل أنَّهم متأثِّرون لا مؤثِّرون، تابعون لا متبوعون، يعبث بهم رجل واحد، ويخرجهم من دين شاهدوا بأعينهم معجزاته، ويجعلهم يتمرّدون على نبيّهم هارون عليه السلام الذي أوكله بهم نبيُّهم موسى عليه السلام، بل كادوا يقتلونه من أجل عجلهم ﴿**قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي**﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وممَّا يؤكِّد ضعف الشخصيَّة الإسرائيليَّة وتردُّدها وفقدان ثقتها بنفسها أنَّهم عندما نجوا من قوم (فرعون) وجدوا قومًا يعكفون على أصنام لهم: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**

---

١ - ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى * قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى * قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ * قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ * أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى * قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى * قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٨٥-٩٨].

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فما أجهل من شاهد البحر ينفلق لأجله ثمَّ يصرّ أن يبقى تابعًا لغيره مقلّدًا، يقتدي بموسى نبي الله، وفي الوقت عينه يريد أن يقتدي بعابد صنم!

٤. الغباء والسطحيَّة:

وكذلك بعد معجزة انفلاق البحر وغرق فرعون قالوا لموسى عليه السلام: **﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾** [البقرة: ٥٥]، وبعد أن أخذتهم الصاعقة، وبعثهم الله بعد موتهم، وظلَّل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، بعد ذلك عادوا ليبدّلوا أمر الله لهم. وإذا نظرنا إلى هذا السلوك من زاوية إيمانيَّة، نعرف مدى العناد والمعصية والتمرّد الذي يتمتَّع به بنو إسرائيل. ولكن أيضًا إذا نظرنا إليه من زاوية القدرات العقليَّة، فإنَّنا نكتشف صفة الغباء والسطحيَّة المتأصّلة في العقل اليهودي.

٥. التصديق بالأوهام والخرافات:

شيئان يدفعان الإنسان إلى البحث عن حلول سحريَّة لمشاكله خارج المنطق والواقع: نقصان العقل، ونقصان الهمّة. فنقصان عقله يجعله يتقبَّل أي حلّ ولو خارج المنطق، ونقصان همّته يجعله يطلب الحلول التي لا تحتاج جهدًا ومتابعة. وهذا ما جعل بني إسرائيل يتّبعون السحر والشعوذة والخرافة: **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ* وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾** [البقرة: ١٠١-١٠٢]

٦. الأولويات المقلوبة:

خلطة الغباء مع الغرور والعبث واللا مسؤوليَّة تجعل المرء يستغرق في تفاصيل لا فائدة

منها، ويستخفّ في الوقت ذاته بقضايا مصيريَّة، وهذا ما تعكسه قصَّة ذبح البقرة؛ حيث أمرهم الله بذبح بقرة، وكان يجزيهم ذبح أي بقرة، ولكنَّهم أصرّوا أن يعرفوا لونها وعمرها ومواصفاتها، بل كاد استغراقهم في ما لا طائل منه يخرجهم عن أمر الله: ﴿**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [البقرة: ٧١]. ولذلك ناسب بعد ذلك كلّه العناد والغباء وفقدان الحسّ أن يأتي الحديث في سورة البقرة عن قسوة قلوبهم: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ [البقرة: ٧٤]. إنَّ القلب في القرآن يجمع العقل والحس ﴿**فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾ [الحج: ٤٦]، فقسوة قلوبهم تجمع التحجّر العقلي وتبلّد الحسّ والمشاعر.

٧. طغيان القيمة الماديَّة على سائر القيم:

لا يظهر في سيرة بني إسرائيل التفاتهم إلى القِيم الروحيَّة أو الإنسانيَّة أو الخُلُقيَّة، وإن كان فيهم أنبياء وصالحون، ولكن الحديث من حيث كونهم جماعة، كما أسلفنا، همُّهم معدتهم ﴿**بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾ [البقرة: ٦١]. وعند أوّل امتحان بين تلبية مطالب الروح بطاعة الله وعدم الصيد يوم السبت، وبين تلبية مطالب الجسد بإغراء الصيد، سقطوا في الامتحان، وقدّموا القيمة الماديَّة على القيمة الروحيَّة ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ [البقرة: ٦٥]، وفي قصة قارون نجد الشخصيَّة الإسرائيليَّة واضحة في قارون، فهو يتباهى بأمواله، ويتكبر على حمد الله ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ [القصص: ٧٨] ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [القصص: ٧٩]، وهذا الانحراف أصبح أصيلاً في بنية المجتمع الإسرائيلي، واستمرّ في أجيالهم؛ فبعد عهد موسى عليه السلام طلبوا من أحد أنبيائهم أن يختار لهم قائدًا يقاتلون تحت لوائه ضدّ عدوان (جالوت)، فلمّا أمرهم الله أن يقاتلوا تحت قيادة طالوت اعترضوا، ليس لعدم كفاءة (طالوت) بل لأنَّه من الفقراء: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ**

أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وكذلك عندما أمرهم الله بدخول الأرض المقدّسة، أمرهم أن يكون شعارهم «حطّة» -أي استغفار وطلب حطّ الذنوب- وهو شعار كلّ الرساليين، كما خاطب الله -تعالى- رسول الله ﷺ: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾** [النصر: ١-٣]، فقد دخل رسول الله مكّة مستغفرًا ومسبِّحًا (حطّة)، لكنَّ بني إسرائيل لم يقبلوا شعار «حطّة»: **﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** [البقرة: ٥٨-٥٩]، وقد اتفّقت تفاسير السُنَّة والشيعة أنَّهم قالوا «حنطة» بدل «حطّة»[١]، و«حنطة» ليست مجرّد استهزاء كما ذكرت بعض التفاسير[٢]، بل هي شعار حركة بني إسرائيل في دخولهم وخروجهم، والحنطة (القمح) كانت مالا[٣] وطعامًا، والمسألة أبعد من مجرَّد استهزاء بل المسألة بين اتجاهين ثقافيين لا يزالان متصارعَيْن إلى اليوم مع اختلاف الحضارات التي انضوت تحت عنوان من هذين العنوانين: الحطّة والحنطة، فثقافة «الحطّة» تنطلق من حمل رسالة الله إلى بني الإنسان ليعبدوه ويستغفروه، وإذا خُيِّرت الأُمَّة بين مصالحها السياسيَّة والاقتصاديَّة وبين مصالحها الرساليَّة فإنَّها تختار مصلحة الرسالة، وترفض صراع الرغيف، وإذا وجدتكَ أحوج إلى رغيفي أطعمك إياه. وأمَّا ثقافة «الحنطة» فتنطلق من الأنانيَّة ونهب حنطة الآخرين، والطمع في رغيفك مهما كانت مخازني

١ - انظر: ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١، ص٧٢٦-٧٢٩؛ العلامة المجلسي: بحار الأنوار، ج١٣، ص١٧٤.

٢ - انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤١٧.

٣ - الحنطة كانت قوة شرائيَّة أو قيمة تبادليَّة كما الذهب والفضة، وقد ورد في العهد القديم أنهم تعاملوا مع الحنطة كقيمة ماليَّة تبادليَّة، حيث أخذ اللاويون على سبيل المثال من بني إسرائيل العشور حنطة وزيتاً (انظر: سفر العدد، الإصحاح الثامن عشر، ٢٥-٣١.

ممتلئة ومتخمة. وصراع حطَّة/حنطة بدأ مع بداية الإنسان عندما قتل ابن آدم أخاه، ويبقى إلى تحقيق العدالة العالميَّة في آخر الزمان على يد الإمام المهدي عليه السلام[1]. فشعار «حنطة» الذي رفعه بنو إسرائيل مقابل الشعار الإلهي «حطّة» كان يعني رفض الوظيفة الرساليَّة، وإسقاط القيم الروحيَّة والخُلُقيَّة والإنسانيَّة، وإعلاء القيمة الماديَّة وحدها، وبدل أن يطلبوا في الأرض المقدسة سموًّا روحيًّا، وبركة إيمانيَّة، واندفاعًا رساليًّا... لم يطلبوا فيها إلا الحنطة التي لهم والتي ليست لهم، أي اقتصروا في الأرض المقدّسة على طلب زيادة الثروة.

٨. الهوى والأنانيَّة فوق الحق والدين والأخلاق والمبادئ:

إن إفراط (فرعون) في اضطهاد بني إسرائيل، وإفراط بني إسرائيل في الخنوع والخضوع، حوَّل الشخصيَّة الإسرائيليَّة إلى شخصيَّة مفرطة في الأنانيَّة، لا يهمُّها إلا إشباع رغباتها وأهوائها، ولذلك لم يجدوا حرجًا في قتل أنبيائهم إذا خالفوا أهواءهم ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ [البقرة: ٨٧]، بل إنَّهم كانوا يقمعون أي دعوة إصلاحيَّة، ويخنقون أي صوت ينادي بالعدالة ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [آل عمران: ٢١].

ولذلك اشتُهر بنو إسرائيل بالخيانة والغدر ونقض العهود والمواثيق:

﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧]

﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٠]

﴿**يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا**﴾ [آل عمران: ٧٧]

﴿**الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ**﴾ [الأنفال: ٥٦]

---

١ - الصراع اليوم بين قوى الاستكبار وعلى رأسها أمريكا وبين قوى التحرّر وعلى رأسها الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة ليس مجرّد صراع على المصالح، بل هو صراع ثقافي حضاري بين "حنطة" أمريكا وبين "حطّة" إيران.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَّة يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]

بل حتى كتاب الله حرّفوه وبدّلوا فيه ليكون متماشيًا مع مصالحهم وأهوائهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

٩. الجبن:

الجبن تأصَّل في بني إسرائيل عندما آثر الإسرائيلي السلامة، ولو على حساب ذبح ولده واستحياء نسائه، وهذا الجبن صاحَبَهم في مراحل تاريخهم كافّة، بدءًا من جبنهم عن مواجهة (فرعون)، إلى جبنهم عن دخول الأرض المقدَّسة ومواجهة الجبَّارين، وبسبب جبنهم وانهيارهم النفسي استسلموا لرسول الله ﷺ حين حاصر بني قريظة: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦]، وكذلك بنو النضير انهزموا أمام النبي ﷺ بسبب الرعب: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢].

١٠. النفاق والتلوّن:

النفاق الإسرائيلي مزيج من الجبن وضعف الشخصيَّة وانعدام القيم والمبادئ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦].

١١. الذلّة والخضوع واستدعاء التسلّط:

هناك مثل يردِّده الناس: «سألوا فرعون مَنْ فَرْعَنَكَ؟ فقال: لم أجد من منعني، ففَرْعَنْتُ نفسي». فخنوع بني إسرائيل هو الذي استدعى تسلّط (فرعون)، أو هو الذي جعل تسلّط (فرعون) يتمادى. فصارت الذلّة والمسكنة طبعًا أصيلاً فيهم ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [البقرة: ٦١]، كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياءﷺ الذين هم قادة تحرير الأمم ورقيّها وقوّتها، ولذلك أصبحت الذلّة ملازمة لهم، وأصبحوا مدعاةً لكلّ طاغيَّة أو طامع كي يتسلّط عليهم ويسومهم سوء العذاب: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾ [الأعراف: ١٦٧]. وهذا الذي يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ليس أخذًا للأبناء بذنوب آبائهم، بل لأنَّ الأبناء نسخة عن آبائهم في الخنوع واستدعاء التسلّط، وهذه من السُنن الاجتماعيَّة والتاريخيَّة أنَّ الأمم الخانعة ستعاني التسلّط والاضطهاد.

١٢. التعالي على الصالحين والتحدّي والعناد:

مقابل الذلّة والخضوع أمام الظلمة الطغاة، فإنَّ بني إسرائيل يُظهرون منتهى الغلظة والتمرّد وسوء الأدب أمام المقسطين ذوي الأخلاق والقيم والمبادئ. ففي الوقت الذي لم يجرؤوا على معصية (فرعون) حتى في تقديم أولادهم للذبح، لمجرَّد أنَّ (فرعون) رأى حلمًا، فإنَّهم بالمقابل يقابلون موسىﷺ والأنبياءﷺ بكلّ وقاحة وصفاقة: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾ [البقرة: ٨٨] ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾ [البقرة: ٩٣] ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ**﴾ [النساء: ٤٦] ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: ٢٤] ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**﴾ [المائدة: ٦٤].

١٣. الرضا بالأدنى وعدم التطلع إلى معالي الأمور:

فبنو إسرائيل أُمَّة تطلب الدعة والسكون، ولا تطمح إلى الأهداف العليا، ولذلك حوّلوا كتابهم إلى تقليد موروث، فأماتوا رسالته، وعطلوا حيويَّته، فما عاد يمنحهم تطلّعًا نحو الأكمل والأسمى، بل اكتفوا بالأدنى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا**﴾ [الأعراف: ١٦٩].

١٤. اعتقادهم بمحدوديَّة النار في الآخرة:

فالذي جعلهم يأخذون عرض الأدنى كما في الآية السابقة أنهم قالوا: ﴿**سَيُغْفَرُ لَنَا**﴾، والذي ساعدهم في تحريف كتاب الله أنَّهم اعتقدوا أنَّهم إن دخلوا النار ببعض ذنوبهم فإنهم سيخرجون منها في نهاية المطاف لأنهم مؤمنون[1]: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ* وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ* بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٧٩-٨١].

١٥. تغطية عقدة النقص بالتكبر المفرط:

من المعروف أنَّ كلّ متكبّر يعاني من عقدة نقص يحاول تغطيتها بالتكبّر. والذلّ الذي عاناه بنو إسرائيل من قبل (فرعون) وملئه، وسكوتهم عن ذلك، وعجزهم عن حماية شرفهم وأبنائهم وأنفسهم، ذلك وغيره أوجد في شخصيَّتهم أمراضًا نفسيَّة خطيرة.. إنَّ الألم الذي أخفاه الإسرائيلي في لا وعيه جرَّاء إذلاله، عاد ليظهر على شكل مبالغة في التكبّر، ومبالغة في

١ - وللأسف فإن هذه العقيدة كانت سبباً من أسباب انحطاط الأمة واستهانتها بواجباتها، بدءاً من قول ابن تيميَّة بفناء النار، وصولاً إلى الاعتقاد السائد أن المسلم مهما فعل فإنه يدخل الجنة في نهايَّة المطاف.

احتقار الآخرين. وصل بهم التكبّر إلى الاعتقاد بأنَّهم وحدهم أبناء الله، وهم شعبه المختار: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ**﴾ [المائدة: ١٨]، والجَنَّة لهم وحدهم: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ١١١] ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ**﴾ [البقرة: ١١٣]، واحتقروا كلَّ الأُمم سواهم، ولذلك اعتبروا أنَّ غير الإسرائيلي أُمِّي ليس له حقوق: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ [آل عمران: ٧٥]، أي إنَّهم لا يؤدُّون الأمانة إلى العربي؛ لأنَّه أدنى من أن يعاملوه وفق قواعد دينيَّة أو خُلُقيَّة أو إنسانيَّة. وهذه العقدة العنصريَّة أبرزها التلمود بشكل واضح في وصايا حاخاماته:

«لا يتوجَّب على اليهودي أن يدفع لوثني أجور عمل.

إذا عثر اليهودي على متاع ضائع يخصّ وثنيًّا فلا يتوجَّب عليه ردّه.

الأُمِّيُّون يقعون خارج نطاق الشريعة، ومالهم يتيحه الله حلالاً لبني إسرائيل.

يجوز لليهودي أن يلجأ إلى الأكاذيب لكي يراوغ أُمِّيًّا.

أبناء الأُمِّيين بهائم وفتيات الأُمِّيين نجسات»[1].

هذا الاستعلاء والحقد والعنصريَّة يخفي وراءه عقدةَ دونيَّة مُمِضَّةً متأصِّلة في اللاَّ الوعي الجمعي الإسرائيلي. وهذه العنصريَّة المرضيَّة تكشف كثيراً من السلوك اللاَّ الديني واللاَّ خُلُقي في تاريخ اليهود وحاضرهم.

١٦. التفكّك الاجتماعيّ:

الإسرائيلي الذي عجز عن حماية أسرته، ولم يحاول منع الذبح عن ولده، ولا منع استخدام

١ - انظر: أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، ص٣٩٥.

زوجته أو أمّه أو أخته أو ابنته، من الطبيعي ألَّا يبالي بوحدة المجتمع، وأن تكون قلوبهم شتَّى كما وصفهم القرآن: ﴿**بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَى**﴾ [الحشر: ١٤] ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [المائدة: ٦٤]. وقد أدرك هارون هزال المجتمع الإسرائيلي الذي كاد يتفتت في فتنة (السامري)، بل كاد يَقتلُ هارونَ نفسه، ولذلك اعتذر إلى موسى بأنَّه خشي على المجتمع من التفكّك: ﴿**قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [طه: ٩٤].

وقد أبرز القرآن تفكُّكَهم قبيل بعثة النبي الأكرم ﷺ: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ* ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ**﴾ [البقرة: ٨٤-٨٥]، وهذه الآيات تخبر كما قال المفسِّرون عن قبائل اليهود: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، قال ابن عباس: «فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يُظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة، يعرفون منها ما عليهم وما لهم. والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان»[1]. هكذا كان اليهودي يقتل اليهودي ويخرجه من داره إرضاءً لسيِّده الأوسي أو إرضاء لسيِّده الخزرجي.

وربما لذلك أخرج الله لهم اثنتي عشرة عينًا: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ**

١ - ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢، ص٢٠٧. وانظر: أبو جعفر الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص١٠٥.

عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، حتى لا يبغي أناس على أناس جعل لكلّ فرقة منهم مشربها الخاص.

١٧. الجمود وانعدام قابليَّة التطوّر:

الأُمَّة الإسرائيليَّة أُمَّة جامدة فاقدة للحيويَّة وقابليَّة التطوّر، وإلى هذا أشار القرآن عندما نسب للأبناء أفعال آبائهم: ﴿**قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [البقرة: ٩١-٩٢]، فالذين يخاطبهم القرآن لم يقتلوا الأنبياء، ولم يتَّخذوا العجل، وإنَّما آباؤهم هم من فعلوا ذلك، فما معنى أن يخاطبهم بفعل آبائهم والقرآن قد قرّر ﴿**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [النجم: ٣٨]؟! لا شكَّ في أنَّهم لا يحملون أوزار آبائهم، ولكنَّهم يحملون شخصيَّة آبائهم، فالشخصيَّة الإسرائيليَّة غير قابلة للتطوّر، بل كلّ جيل هو نسخة مطابقة لسلفه، وهذا الجيل الذي عاصر القرآن لا يختلف في عقله وحسّه وطباعه عن سلفه قتلة الأنبياء وعَبَدَة العجل.

ثانيًا: الشخصيَّة الإسرائيليَّة المعاصرة استمرار لسلفها:

عندما نؤكِّد انعدام قابليَّة التطوّر في الشخصيَّة الإسرائيليَّة لا يعني ذلك أنَّهم جمادات لا تكتسب في خبرتها الحياتيَّة والتاريخيَّة شيئًا، بل يعني أنَّ هذه الخصائص العقليَّة والنفسيَّة ثابتة في شخصيَّة بني إسرائيل، وإن اختلفت معارفهم ووسائل عيشهم وقدراتهم في مراحلهم التاريخيَّة المختلفة.

وعندما نعتمد الدراسة القرآنيَّة في تحليل الشخصيَّة الإسرائيليَّة المعاصرة، فإنَّنا نرتكز على مرتكزات ومؤشِّرات:

- ما ذكرناه من إثبات القرآن لجمود الشخصيَّة التاريخيَّة وانعدام قابليَّة التطور فيها، من خلال مخاطبة الأبناء بأفعال آبائهم.

- حديث القرآن عن طبائعهم في آيات تتلى إلى يوم القيامة، يدعم ثبات هذه الطبائع، وحاجة الأُمَّة إلى معرفتها.
- في عدد من المواضع بنى القرآن الموقفَ من بني إسرائيل على طبائع آبائهم: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ**﴾ [المائدة: ١٣]، فهو يخاطب النبي ﷺ بأنَّ آبائهم نقضوا الميثاق وحرَّفوا الكلم فاستحقُّوا اللعنة، وها أنت ترى هؤلاء الأبناء تستمرّ فيهم رذائل الخيانة. ومثله قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٧٤-٧٥]، فقلوبهم قاسية منذ نقضهم ميثاق الله -تعالى- زمن موسى عليه السلام، وهم كانوا يسمعون كلام الله ثمَّ يحرّفونه حسب أهوائهم، فكيف ترجون من أبنائهم خيراً أو إيمانًا؟
- واقع السلوك الإسرائيلي قديمًا وحديثًا يؤكِّد ثبات هذه الطبائع فيهم، وصحَّة اعتمادها في الدراسات المعاصرة.

وقد استمرَّت هذه الخصائص والطبائع في شخصيَّة بني إسرائيل في تاريخهم وحاضرهم، نبيّنها وفق ترتيبها وتقسيمها في القسم الأول من هذا البحث:

١. أما تصدّع المفاهيم الإيمانيَّة وسرعة الانهيار، فهذا شاهدناه في زمن النبي ﷺ، عندما انهارت بنيتهم العسكريَّة بشكل مفاجئ، فخرجوا من حصونهم مستسلمين في حرب بني قريظة وفي حرب بني النضير، دون أي مؤشِّرات على هزيمتهم إلا هذا الانهيار النفسي الذي لا مبرِّر له إلا تصدّع الشخصيَّة ﴿**مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ**

يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]. وفي عصرنا الحاضر شهدنا هزائمهم في لبنان وفلسطين: هروبهم بشكل مفاجئ من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م، وهزائمهم المتتالية حتى طوفان الأقصى الذي كاد يصدع بنيانهم لولا أن تداركتهم أمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا. وقد شاهد العالم خروجهم عراة إلى الشوارع هربًا من القصف.

٢. وأمَّا بلادة الحسّ ومحدوديَّة التفكير فهذا واضح من تسرّعهم في نقض العهود مع النبي ﷺ قبل أن تنجلي نتائج الحرب، ومن تورّطهم بحروب خاسرة ضدّ النبي في المدينة المنوَّرة وما حولها. وفي عصرنا الحاضر ليس أدلّ على غبائهم من قبولهم بدولة في وسط محيط معاد لمجرَّد أنَّ لبريطانيا مصلحة في إقامة هذا الكيان.

٣. وأمَّا إنَّهم تابعون لا متبوعون فسياستهم كانت مرتبطة بخدمة مصالح الاستعمار البريطاني، ثمَّ ارتبطت بمصالح الاستكبار الأمريكي. ونتذكر هنا كلمة الشهيد الأسمى (السيد حسن نصر الله) عندما قال في خطابه بعد حرب تموز ٢٠٠٦م: «لقد أثبتت هذه الحرب أنَّ إسرائيل هي مجرَّد أداة أمريكيَّة في المنطقة».

٤. والغباء والسطحيَّة واضح في قبولهم أن يكونوا قاعدة استعماريَّة يحاربون بأبنائهم لخدمة مصالح غيرهم، فليس هناك أخطبوط يهودي كما كتب كثيرون، بل هناك حمار يهودي يكدّ ويتعب ليحمل أثقال الآخرين.

٥. وكذلك التصديق بالأوهام والخرافات والنبوءات غير الموثَّقة، فأكثر اليهود (وكثير من المسلمين) بدل أن يقرؤوا السياسة من خلال المصالح والممرَّات المائيَّة وموازين القوى... فإنَّهم يكتفون بأخبار ونبوءات لا أصل شرعي لها، ورأينا كيف أنَّ الحديث عن زوال إسرائيل الذي اعتمد أخبارًا وحساباتٍ اعتباطيَّة، فخابت

آماله وفشلت توقّعاته؛ لأنَّه ترك الدراسات العلميَّة المعتمدة على فهم عميق لواقع المجتمع الإسرائيلي داخليًّا وخارجيًّا، واتبع ما تتلو أوهامه من أرقام لا يبحث فيها عن الحقيقة بقدر ما يبحث عن دهشة سرعان ما استحالت خيبة.

٦. عندما جادلوا في عدد أهل الكهف لم يبالوا في أنَّهم طلبوا معرفة لا طائل منها ولا فائدة. وقد يقول قائل: إذن، لماذا نزل القرآن يجيب عن قصَّة أصحاب الكهف؟ نقول: لأنَّ في القصة كثيراً من الدروس والفوائد في حركة الدعوة وسُنن التاريخ والمجتمع. وأمَّا عددهم فهذه معرفة لا تنفع، ولذلك ذكر القرآن كيف يُشَعِّبون الأقوال في معرفة غير نافعة، وردُّه عليهم ليس ردًّا على تفاصيلِ عددهم، وإنمَّا ردٌّ على المنهج المعرفيّ لديهم ﴿**فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٢٢]. واليوم نشهد كيف ينساق الغرب معهم في قضيَّة الأسرى ويغفل ما هو أولى، من أسباب الأسر وأسباب المقاومة، وما يمارسه بنو إسرائيل من جرائم ضدّ الإنسانيَّة.

٧. إنَّ طغيان القيمة الماديَّة واضح في السلوك الإسرائيلي عمومًا، على مستوى الأفراد وعلى مستوى الدولة، وأساس قيام الكيان الإسرائيلي في عصرنا قام على اغتصاب أراضي الناس وبيوتهم، والتوسّع في الأراضي العربيَّة، وذلك يؤكّد سقوط القيم الخُلُقيَّة والدينيَّة والإنسانيَّة لدى كيان بني إسرائيل.

٨. أمَّا إعلاء الهوى والأنانيَّة وإسقاط الحقّ والدين والأخلاق والمبادئ، فهذا واضح في غدرهم برسول الله ﷺ، وهو في عصرنا أشد وضوحًا، فدولة إسرائيل انقلبت على كل الاتفاقات التي عقدتها مع السلطة الفلسطينيَّة، ورغم أنَّها عضو في الأمم المتحدة لكنَّها لم تلتزم بأي قرار دَولي بخصوص حقوق الشعب الفلسطيني والأراضي التي احتلَّتها في لبنان وسوريا، مضافًا إلى جرائم الإبادة التي تمارسها في فلسطين، وانتهاكها لجميع المعايير الدينيَّة والخُلُقيَّة والإنسانيَّة والدَّوليَّة

والحقوقيَّة...

٩. الجبن، وهذا يعرفه كل من قاوم الاحتلال الإسرائيلي في لبنان وفلسطين وسوريا، وفي كلّ حرب يخوض فيها الجندي الإسرائيلي اشتباكًا مباشرًا، أو يرابط في موقع يراه خطرًا، فإنَّه يحتاج إلى دعم نفسي قد لا يفلح أحيانًا في منعه من الانتحار.

١٠. النفاق والتلوّن، وهي سمة بارزة في كيان إسرائيل التي تعقد اتفاقًا مع لبنان، كما في الحرب الأخيرة، ثمَّ لا تلتزم بأيٍّ من بنوده. وهي تتظاهر بالمظلوميَّة في المحافل الدَّوليَّة، فيما هي تمارس أبشع أنواع الإجرام والإبادة في غزة ولبنان وسوريا واليمن.

١١. الذلَّة والمسكنة والخضوع هي السمة التي ضربها الله على بني إسرائيل إلى يوم القيامة ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٦١]، وحتى في الحالات الاستثنائيَّة القليلة في التاريخ، فإنَّها لا ترفع عنهم بقوَّتهم الذاتيَّة بل بقوَّة غيرهم، وعمالتهم له، وسعيهم في خدمة مصالحه: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ**﴾ [آل عمران: ١١٢]، فعبارة ﴿**وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ يجب أن نفهمها من خلال العبارة قبلها ﴿**بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ**﴾، فهم المحتاجون إلى صاحب الحبل لا العكس، فإذا رُفِعَت عنهم الذلَّة (لا المسكنة) بحبل من الله، فإنَّ الله هو سيّدهم وحاكمهم، ومثله عندما تُرفع الذلَّة عنهم بحبل من الناس، فإنَّ الناس هم سادتهم لا العكس، وقد جعلت لهم بريطانيا كيانًا؛ لأنَّهم قبلوا أن يكونوا خدمًا للمصالح البريطانيَّة، وبعدها أمريكا -التي ورثت الاستعمار البريطاني- أمدَّتْهم بوسائل القوَّة ليكونوا خدمًا لمصالحها. ولذلك جاء ضرب المسكنة عليهم بعد الاستثناء لا قبله، لأنَّ المسكنة غير مستثناة، فهم ينالون حبلاً من الناس في حالات استثنائيَّة في تاريخهم بمسكنتهم وخدمتهم لمصالح أصحاب الحبل. ولذلك سلَّط

الله عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، سواء كان معتديًا عليهم يأكل حقوقهم ويسخرهم في خدمته، أم كان مقاومًا لعدوانهم، يجعلهم وهم يملكون أقوى الأسلحة يعيشون رعبًا لا يفارقهم حتى في مناماتهم، ورغم كل ما مارسوه من عدوان واغتيالات لم يستطيعوا إقناع شعبهم بأنَّ دولتهم قادرة على حمايتهم أو قادرة على منع صواريخ الموت الإيرانيَّة أو اللبنانيَّة أو الفلسطينيَّة أو اليمنيَّة أن تسقط فوق رؤوسهم.

١٢. وأمَّا التحدّي والتكبّر على لغة الصلح، والخضوع والذلَّة أمام لغة القوة، فهذا واضح، وقادة محور المقاومة يعرفون ذلك، وقد شاهدنا الكيان الإسرائيلي كيف سارع إلى طلب وقف إطلاق النار في حربه مع الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة دون قيد أو شرط. وأمَّا من تنازل له عن حقوقه فإنَّ الإسرائيلي لا يراعيه ولا يحفظ له حتى ماء وجهه، وما الهجوم على الدوحة مؤخَّرًا إلا تأكيد على استعلاء الإسرائيلي على كل المطبِّعين معه أو غير المعادين له، واحتقاره لهم.

١٣. واليهود شعب لا يملك طموحات كبيرة، ويخطئ من يظنّ أنَّهم يسيطرون على قرارات الدول الكبرى، أو من يظنّ أنَّهم يطمحون إلى السيطرة على العالم. فاليهود لا يلعبون إلا في الوقت الضائع عندما يجدون فرصتهم في إمكان خدمة القوي والاستفادة من حبله.

١٤. واعتقادهم بمحدوديَّة النار ينعكس على سلوك الأفراد اللاَّ المبالي، وعلى سلوك الدولة التي تنتهك كل المعايير.

١٥. وأمّا التكبّر المفرط لتغطية عقدة الدونيَّة عندهم، فهذه قد تراها إذا استفززت الإسرائيلي، بذكر دونيّتهم وخضوعهم التاريخي وجبنهم وانتقالهم من فشل إلى فشل، ومن اضطهاد إلى اضطهاد... فهذا إن نجحت فيه يجعله يصاب بهستيريا. وكذلك على المستوى الجمعي، فقد كانت خطابات الشهيد الأسمى (السيد حسن

نصر الله) تربكهم، وربّما تهزمهم مسبقًا؛ لأنَّها كانت تعرف كيف تعزف على وتر دونيَّتهم وقلقهم وشكّهم بإمكانيَّة بقائهم، فكانت تعرّيهم من مظاهر القوة الكاذبة. وكذلك كان هذا الردّ الهستيري على عمليَّة طوفان الأقصى؛ لأنَّها كشفت هشاشة الكيان الذي كان دائمًا يتظاهر بالقوة والتماسك.

١٦. ورغم أنَّ الأخطار المحدقة تفرض على المجتمع الإسرائيلي التلاحم، لكنَّ الانقسام حاضر داخل هذا المجتمع ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾ [الحشر: ١٤]، والمظاهرات التي قامت قبل أشهر والتي كادت تطيح بالكيان، جعلت المؤرِّخة الإسرائيليَّة (فانيا أوز سالزبرغر- Fania Oz-Salzberger) تحذِّر من أنَّ إسرائيل مهدَّدة بالانهيار من داخلها في مقال نشرته فايننشال تايمز البريطانيَّة[1].

١٧. كلّ ما ذكرناه يؤكِّد انعدام قابليَّة التطوّر في هذه الأُمَّة التي ما تزال رذائل أجدادها قبل أكثر من ثلاثين قرنًا تتناسخ فيها.

١ - موقع الجزيرة نت ٣٠-٨-٢٠٢٥.

خاتمة

وقبل الختام لا بدَّ من التأكيد على مسألة تناثرت في ثنايا البحث، وهي مسألة المبالغة في القدرة والسيطرة الإسرائيليَّة في التاريخ وفي الواقع المعاصر:

- نسبوا إلى اليهود التسبّب بالنزاع بين الأوس والخزرج، وقد بيَّنا أنَّ اليهود كانوا حلفاء، أو ربما عملاء، ولكن ليس هناك أيُّ دليل أنَّهم كانوا سادة تلك الحرب أو مشعليها.
- نسبوا إلى (عبد الله بن سبأ) اليهودي كلّ الفتن التي جرت بعد النبي ﷺ، وذلك ليُغَطُّوا على جرائر بعض الصحابة. والواقع أنَّ الأساطير التي نسجوها عن شخصيَّة (ابن سبأ) لم يَرِدْ منها شيء بسند صحيح، فكلّها من طريق (سيف بن عمر التميمي) المتَّفق على ضعفه، والمتَّهم بالزندقة ووضع الأحاديث.
- نسبوا إلى (كعب الأحبار) أنَّه كان رجل الظلّ الذي يقود (معاوية بن أبي سفيان)، والحقيقة أنَّ (معاوية) هو الذي كان يستخدم (كعبًا)، ويأمره أن يقصّ أكاذيبه في فضل الشام وما إلى ذلك، ولمَّا امتنع (كعب) عن القص أرسل إليه (معاوية) وأمره أن يقصّ[1]. فـ(كعب الأحبار) وغيره كان أداة من أدوات (معاوية) في تثبيت ملكه.
- الإسرائيليات أدخلها بعض المسلمين إلى تراثهم بسبب قلَّة وعيهم، فقد كان (أبو هريرة) يروي عن (كعب الأحبار)، ويخلط في الرواية أحيانًا بين حديث النبي ﷺ وبين حديث (كعب) كما نبّه (البخاري)[2]. و(عبد الله بن عمرو بن العاص) ظفر

١ - البخاري: التاريخ الكبير، ج٤، ص١٥٢

٢ - انظر: البخاري: التاريخ الكبير، ج٢، ص١٧١.

في الشام بحمل جَمَل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدّث منها[1]، وقد روى (أحمد عن أبي سعد الأزدي) أنّه قال لـ(عبد الله بن عمرو): «حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ، ولا تحدثني عن التوراة والإنجيل»[2]، ومثل ذلك كثير... فبنو أميَّة هم من احتاجوا إلى الإسرائيليات، وليس اليهود من خطّطوا، فاليهود أقلّ من ذلك، وإنَّما استخدمهم الأمويّون.

- بروتوكولات حكماء صهيون التي أثَّرت كثيراً في كلّ من يكتب عن اليهود، وأسهمت في فكرة سيطرة اليهود، لا يعرف كثير أنّه من الصعب إثبات صحتها، وأنَّ أوَّل من نشرها المخابرات الروسيَّة، واتخذوا من نشرها وسيلة لاضطهاد اليهود وطردهم. وإذا قرأنا في نسخة الترجمة لـ(محمد خليفة التونسي) التي تُعتبر أوّل نسخة باللغة العربيَّة، نجده من أوائل من روّج في مقدّمة الكتاب لفكرة السيطرة اليهوديَّة على العالم، وعلى الاقتصاد العالمي وعلى الذهب[3]، ثمّ يذكر المترجم أنّ (هرتزل- Theodor Herzl) أعلن في عدَّة نشرات "أنَّه قد سُرقت من قدس الأقداس بعض الوثائق السريَّة التي لا ينبغي أن يطلع حتى أعاظم اليهود"[4]! والغريب أنَّ (هرتزل) بإعلانه هذا يؤكِّد صحّة البروتوكولات، فكيف لجماعة بهذا الذكاء أن تؤكد ذلك؟! ثمّ نقل بعد ذلك شائعة لم ينفِها بل أكّدها بوصف نفسه بالشهيد الحيّ، مفاد هذه الشائعة أنّ كلّ من أسهم في نشر هذا الكتاب يجري اغتياله أو يموت في ظروف مريبة[5]. وطبعًا هذه من مبالغات الكاتب، فلم يُقتلْ أحد، ولا هو قُتل، وقد أعاد

١ - انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج١، ص٢٠٧.
٢ - أحمد بن حنبل: المسند، ج١١، ص٥٤٣.
٣ - انظر: محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ص٣١-٣٢.
٤ - حمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ص٣٥.
٥ - حمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ص٤٤-٤٥.

طباعة كتابه عدّة مرات. وحتى (عباس محمود العقاد) الذي قدّم للكتاب لم يُسلِّمْ في مقدّمته بصحة البروتوكولات. وقد فنّد المفكّر د. (عبد الوهاب المسيري) في كتاب خاص هذه المزاعم، وبيّن أكذوبة البروتوكولات[1].

وهذا لا يعني تبرئة اليهود من جرائمهم، ولا نفي خطرهم بل نفي هذه القوّة الأسطوريَّة التي زعموها لهم، وحقيقتهم أنّهم شعب ذليل خسيس، لا يبالي بحقّ ولا قيم، جبان وفي الوقت نفسه مستعد لارتكاب كل الجرائم والانتهاكات إذا واتته الفرصة، ذكاؤهم بشكل عام أقل من مستوى ذكاء غيرهم، وجدت فيهم الدول الاستعماريَّة، بريطانيا ثمّ أمريكا، أداة صالحة لاستخدامهم في تحقيق مصالحها، فاستخدمتهم ولا تزال، وتاريخهم يشهد أنَّهم خدم لا سادة، وإسرائيل اليوم دولة محتلّة لولا الدعم الأمريكي والغربي اللاَّ محدود لما بقيت، وعندما سنزيلها بإذن الله نكون قد أزلنا أهم قاعدة للاستكبار الأمريكي في منطقتنا.

١ - عبد الوهاب المسيري: البروتوكولات واليهوديَّة والصهيونيَّة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد- الهند، ط١، ١٩٦٩-١٩٨٤م.
- محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعوديَّة، ط١، ١٤٣١هـ.
- العهد القديم.
- أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، تقديم: د. سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٦م.
- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤٤٠هـ.
- محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤.
- د. عبد الوهاب المسيري، البروتوكولات واليهوديَّة والصهيونيَّة، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفيَّة، مصر، ط١، ١٣٨٠-١٣٩٠هـ.
- ١٢_أحمد بن حنبل (ت٢٤١ه)، مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ه/٢٠٠١م.